الموازنة

بين الأُعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

« ٣ »

« جنة العفاريت »

ثم يطوف ابن القارح في جنة العفاريت او يطوف به عليها ابو العلاء ولنسمع ما يقول : فيركب بعض دواب الجنة و يسير فاذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة ولا عليها النور الشمشماني وهي ذات ادحال[١] وغماليل[٢] ... فيقول ما اسمك أيها الشيخ فيقول انا الخيتعور احد بني الشيصبان ، ولست من ولد ابليس ولكنا من الجن الذين يسكنون الارض قبل ولد آدم (صلعم) فيقول اخبرني عن أشعار الجن فقد جمع منها المعروف بالمرزُباني قطعة صالحة ، فيقول ذلك الشيخ انما ذلك هذيان لا معتمد عليه وهل يعرف البشر من النظيم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض ... وان لنا لآلافَ اوزانٍ ما سمع به الإنس ...

فيعجب لازال في الغبطة والسرور لما سمعه مِنْ ذلك الجني .. فاذا هو بأسد يفترس من صيران الجنة وحسيلها[٣] فلا تكفيه هُنيدة ولا هند[٤] فيقول في نفسه لقد كان الأسد يفترس الشاة العجفاء[٥] فيقيم عليها الايام لا يطعم سواها شيئًا ، فيلهم الله الأسد ان يتكلم وقد عرف ما في نفسه فيقول يا عبدالله أليس احدكم في الجنة تُقدَّم له الصحفة وفيها البهط والطريم مع النهيدة[٦] فيأكل منها مثل عمر السموات والارض يلتذ بما أصاب فلا هو بمكتفٍ ولا هي الفانية ، وكذلك انا افترس

---

(١) حفرٍ غامضة ضيقة الاعلى واسعة الأسفل شديدة الغم . (٢) جمع غملول الوادي الضيق الكثير النبت الملتف . (٣) السمكات المملوحة وأولاد البقر . (٤) مائة ولامائتان . (٥) المهزيلة . (٦) الأرز باللبن والسمن والطريم العسل والنهيدة الزبدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما شاء الله فلا تأذي الفريسة بظفرٍ ولا ناب ولكن تجد من اللذة كما أجد بلطف ربها العزيز ، أتدري مَن انا ايها البزيع ، انا اسد القاصرة ... وأدخلتُ الجنة بما فعلتُ .

ومن بديع ما يروى عن الجني الخبيث انه يقول له ما كنيتك لأكرمك بالتكنية فيقول ابو هدرش ولقد لقيت من بني آدم شرًّا ولقوا مني كذلك .. فيقول يا ابا هدرش اخبرني وانت الخبير هل كان رجم النجوم في الجاهلية فان بعض الناس يقول انه حدث في الاسلام ، فيقول هيهات ولكن الرجم زاد في أوان المبعث وان الغرض لكثير في الانس والجن ، وان الصدق لعوز قليل وهنيئًا في العاقبة للصادقين . وفي قصة الرجم أقول :

(مكةُ افوَت من بني الدردبيس فما لجنيٍّ بها من حسيسْ)

* * *

(وكم عروس بات حرَّاسها بجُرهمٍ في عزّها او جديسْ)
(غرت عليها فتخاجتُها بواشكِ الصرعةِ قبل المسيس)
(لا انتهي عن غرضي بالرُّقى اذا انتهى الضيغمُ دون الفريس)
(وأدلج الظلماء في فتيةٍ ملجنٍّ فوق الماحل العربسيس)

* * *

(تحملُنا في الجنح خيل لها اجنحة ليست كخيل الانيس)

* * *

(لا أُسْكَ في ايماننا عندنا بل نُكِسَ الدين فان نكيس)
(فالاحدُ الاعظمُ والسبتُ كالـ اثنين والجمعةُ مثل الخميس)
(لا مُجُوسٌ نحن ولا هُودٌ ولا نصارى يبتغون الكنيس)

يريد ان ليس جنٌّ في اعتقاد اهل هذه المذاهب .

(نمزّق التوراةَ من هونها ونحطمُ الصلبانَ حطمَ البيبس)
(نحارب الله جنوداً لا يرى ـ ـ لبس اخي الرأي الغبين النجيس)
(ونخدعُ القسيسَ في فصحه من بعدما مُنّيَ بالانقليس)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(ثُمَّتَ آمنتُ ومن يُرزَقِ الـ الايمـان يظفر بالخطير النفيس)

والقصيدة كلها على هذا النسق الانيق .

ثم يقول : فيعجب لا زال في الغبطة والسرور لما سمعه من ذلك الجني ويكره الإطالة عنده فيودعه و يذهب في كل سبيل .

« اقصى الجنة »

— وكأنه المطهر عند النصارى —

.. فاذا هو ببيت في اقصى الجنة كأنه حِفْشٌ[1] أمةٍ راعية ، وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، وعنده شجرة قميئة[2] ثمرها ليس بزاكٍ فيقول يا عبدالله لقد رضيت بحقيرٍ شقين فيقول والله ما وصلت اليه الا بعد هياطٍ ومياط[3] وعرق من شقاء وشفاعة من قريش وددتُ انها لم تكن ، فيقول من انت فيقول انا الخطيئة العبسيّ فيقول بما وصلت الى الشفاعة فيقول بالصدق فيقول في اي شيء فيقول في قولي :

(ابت شفتايَ اليوم الا تكلُّماً بهُجر فلا ادري لمن انا قائلهْ)

(ارى لي وجهاً شوَّه الله خلقه فقُبِّحَ من وجه وقبح حاملهْ)

ويمضي (ابن القارح) فاذا هو بامرأة في اقصى الجنة قريبة من المُطَّلَع الى النار فيقول مَن انتِ فتقول انا الخنساء السُلَميّة احببت ان انظر الى صخر فاطلعت فرأيته كالجبل الشامخ والنار تضطرم في رأسه فقال لي لقد صح مزعمُك فيّ يعني قولي :

(وان صخراً لتأتمّ الهداة به كأنه عَلَمٌ في رأسه نار)

« طوافه حول جهنم »

فيطلع فيرى ابليس لعنه الله وهو يضطرب في الأغلال والسلاسل ومقامع الحديد تأخذه من ايدي الزبانية[4] ، فيقول الحمد لله الذي امكن منك ياعدو الله وعدو اوليائه لقد اهلكت من بني آدم طوائف لا يعلم عددها الا الله ، فيقول من الرجل ، فيقول

---

(١) البيت الصغير الحقير . (٢) ذليلة صغيرة . (٣) مجيء وذهاب واضطراب شديد . (٤) الموكول اليهم تعذيب المحكومين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انا فلان من اهل حلب ... فيقول ابليس اسألك عن شيء تخبرنيه ، ان الخمر حُرّمت عليكم في الدنيا وأحلّت لكم في الآخرة ، فهل يفعل اهل الجنة ... ويقول ابليس ايضاً ، ان في الجنة لأشربة كثيرة غير الخمر ، فما فعل بشار بن برد ، فان له عندي يداً ليست لغيره من ولد آدم كان يفضلني دون الشعراء وهو القائل :

(ابليس افضل من ابيكم آدم ... فتبينوا يا معشر الأشرار)
(النارُ عنصره وآدمُ طينة ... والطين لا يسمو سموّ النارِ)

لقد قال الحق ولم يزل قائله من الممقوتين ، فلا يسكت من كلامه الا ورجل في اصناف العذاب يغمض عينيه حتى لا يرى الى مانزل به من النقم فيفتحهما الزبانية بكلاليب من نار واذا هو بشار بن برد قد أُعطي عينين بعد الكمّه لينظر الى ما نزل به من النكال ...

و يسأل عن امرئ القيس بن حجر فيقال ها هو ذا بحيث يسمعك فيقول يا باهند ان رُواة البغداديين ينشدون قفا نبك ... وينظر فاذا عنترة العبسي متلدد في السعير ... فليت شعري ما فعل عمرو بن كلثوم فيقال ها هو ذا من تحتك ان شئت ان تجاوره فجاوره ... و يرى رجلاً في النار لا يميزه من غيره فيقول من انت ايها الشقي فيقول انا ابو كبير الهُذلي ... واذا هو برجل يتضوّر فيقول من هذا فيقال الأخطل التغلبي فيقول له مازالت صفتك للخمر ، حتى غادرتك أكلاً للجمر ، فيزفر الأخطل زفرة تعجب لها الزبانية فيقول آه على ايام يزيد اسوفُ عنده عنبرا ، ولا اعدم لديه سيسنبرا ، وامزح معه مزح خليل ، فيجتملني احتمال جليل ... فيقول جعل الله اوقاته كلها سعيدة عليك البَهَلةُ قد ذَهَلت الشعراء من اهل الجنة والنار عن المدح والنسيب وما شُدِهْتَ عن كفرك ولا اسأتك وابليس يسمع ذلك الخطاب كله .

« تلاعن ابليس وابن القارح »

فيقول ابليس للزبانية ما رأيت اعجز منكم اخوان مالك ، الا تسمعون هذا المتكلم بما لا يعنيه ، قد شغلكم وشغل غيركم عما هو فيه ، فلو ان فيكم صاحب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نحيزة[1] قوية لوثب وثبة حتى يلحق به فيجذبه الى سقر ، فيقولون لم تصنع شيئاً يا ابا زوبعة ليس لنا على اهل الجنة سبيل ، فاذا سمع اسمعه الله محابّه مايقول ابليس اخذ في شتمه ولعنه واظهار الشماتة به ، فيقول عليه اللعنة ألم تُنهَوا عن الشماتِ يا بني آدم ولكنكم بحمد الله ما زُجرتم عن شيء الا وركبتموه ، فيقول واصل الله الاحسان اليه ، انت بدأت آدم بالشماتة والباديء اظلم .

« العودة الى الجنة »

ويملُّ من خطاب اهل النار فينصرف الى قصره المشيد ... و يلقى آدم عليه السلام في الطريق فيقول يابابا صلى الله عليك قد رُوي لنا عنك شعر ... فيقول ولكني لم أسمع به حتى الساعة فيقول لعلك يا ابانا قلته ثم نسيتَ فقد علمتُ ان النسيان متسرع اليك وحسبك شهيداً الآية المتلوة في قرآن محمد (صلعم) ... فيقول آدم (صلعم) أبيتم الا عقوقاً وأذيةً ، انما كنت أتكلم بالعربية وانا في الجنة ، فلما هبطت الى الأرض نُقل لساني الى السريانية فلم أنطق بغيرها الى ان هلكت ، فلما ردّني الله الى الجنة عادت عليَّ العربية فأي حين نظمت هذا الشعر .. ثم يضرب سائراً في الفردوس ...

« مروره بجزيرة الرُّجَّز »

ويمر بابيات ليس لها سوق أبيات الجنة فيسأل عنها فيقال هذه جنة الرُّجَّز يكون فيها أغلب بني عجل والعجّاج ورؤبة وابوالنجم ... وكل من غُفرَ له من الرجّاز فيقول صدق الحديث ان الله يحب معاليَ الامور ويكره سفاسفها وان الرَّجزَ من سناسف القريض ، قصّرتم ايها النفر فقُصّر بكم ...

ويتكيء على مفرش من السندس ويأمر الحور العين ان يحملن ذلك المفرش فيضعنه على سرير من سرر الجنة وانما هو زبرجد او عسجد ، فيكون الباري فيه حالقاً من الذهب تطيف به من كل جوانبه حتى يأخذ كل واحد من الغلمان ، وكل واحدة من تلك الجواري المشبهة بالجمان ، واحدة من تلك الحدائق فيُحمل (الشيخ

(١) طبيعة (او مروءة) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

علي بن القارح) على تلك الحال الى محله المشيّد بدار الخلود ، فكلما مر بشجرة نضحته أغصانها بماء الورد قد خُلِط بماء الكافور ، وبمسكٍ ماجني من دماء الغور ، وتنساديه الثمرات من كل اوب وهو مستلقٍ على الظهر ، هل لك يا ابا الحسن هل لك ، فاذا أراد عنقوداً من العنب اوغيره ، انقضب من الشجرة بمشيئة الله وحملته القدرة الى فيه ، واهل الجنة يلقونه باصناف التحية وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

ولما انتهى بابن القارح الى قصره في الفردوس ، واتكأه على مفرش من رائع الديباج الاسني ، فوق سرير من من الذهب او الزبرجد بين الحور والغلمان ، على ما اتى من ذلك الوصف البديع ، حتى تركه يتمنى ان يُقبَض لساعته ، على شرط ان يضمن له ضامنٌ تحقيق تلك الرواية بل خيال خيالها ، عاد الى الجواب عن الرسالة فقال :

ونعود الآن الى الإجابة عن الرسالة .. وهنا طفق يعدّد له جماعة من المتألهين[1] والزنادقة والملحدين ، وأصحاب البدع من المتقدمين والمتأخرين ، ويذكر طائفة من أشعارهم وأقوالهم ونحلهم واهوائهم ، ينتقدها انتقاد الصيرفي الدينار ، ويمحصها محص الصائغ الفضة في النار ، وبين ذلك يقول : وقد تجد الرجل حاذقاً في الصناعة بليغاً في النظر والحجة ، فاذا رجع الى الديانة ألفي كأنه عيرٌ[2] مقتاد ، وانما يتبع ماالعتاد ، والتأله موجود في الغرائز ، يجتلب من الالجاء الحرائز[3] ، ويلقن الطفل الناشئ ماسمعه من الاكابر ، فيلبث معه في الدهر الغابر[4] ، ... واذا المجتهد نكّب عن التقليد ، تمّا ينطق بغير التبليد[5] ، واذا المعقول جعل هاديا ، نقع[6] بريّه صاديا ، ولكن اين من يصبر على احكام العقل ، ويصقل فهمه ابلغ صقل .. ورُبَّ زارٍ بالجهالة على اهل ملة ، وعلته ادهى علة :

ثم عاد الى ممازحته فقال : وقد تحدّث بعض طُلاّب الادب أدام الله تزيين المحافل بحضوره ، ذكر التزويج يريد الخدمة ، فسرني ذلك لانه دل على اقامة في

(١) المتحيرين (٢) حمار (٣) الحصون (٤) الغابر من الاضداد يعني الماضي و يعني الحاضر . (٥) التحيّر (٦) روى الظمآن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الوطن ، وفي قربه الفرحة لاهل الفطن ... وهو يعرف حكاية الخليل عن العرب ، اذا بلغ الرجل الستين فاياه والشواب[١] ، ولا خير عند التوّاب[٢] ، ولكن التّصَف ، ممن يوصف .. الى ان يقول له ولو نشط لهذه المأربة لتنافست فيه العُجُز[٣] والمكتهلات ، وعلت خطبه المتهبّلات[٤] :

فانظر ما أضحك هذا الوصف وما ألطف هذه المازحة ، لانه كما علمت يخاطب شيخاً جاوز الستين .

ثم يزيد فيقول له : فليس باول من طلب نجوزا[٥] ، فتزوج على السن عجوزا ، وما زالت العرب تحمد الحيزبون[٦] والشهلة[٧] ، ولا تكره مع الشرخ الكهلة .. الى ان يقول : واما حجه الخمس فهو ان شاء الله يستغني في المحشر بالاولى منهن ، و ينظر في المتأخرين من اهل العلم فلا ريب انه يجد فيهم من لم يحج فيتصدق عليهم بالاربع . وكأني به وعمائم الحجيج ، يرفعون التلبية بالعجيج ، وهو يفكر بتلبيات العرب ...

وفيما أتيت من كلامه شاهد مقنع على ماصدرت به هذا النقد من الكلام عن مذهبه .

القاهرة : قسطاكي الحمصي

(١) الشابات (٢) العجائز (٣) جمع عجوز . (٤) اللواتي فقدن حيويهن او أعز أولادهن . (٥) حاضراً مهيئاً . (٦) العجوز (السيئة الخلق) . (٧) اي التي في سواد عينيها زرقة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net